

المعجزة الكبرى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه - لم يلحق في كثرته - وكذلك عن أبي بن كعب وأبي بكر وعمر وأسامة وعائشة والفضل وبصرة بن أبي بصرة وكعب الحبر.

حدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، فقيل: بلغ عدد أصحابه ثمانمائة أو أكثر كما قال البخاري.

عن محمد بن قيس قال: كان أبو هريرة يقول: لا تكنوني أبا هريرة؛ كنانتي رسول الله ﷺ: أبا هر، فقال: «ثكلتك أمك أبا هر»، والذكر خير من الأنثى، وعن الوليد بن رباح أن أبا هريرة كان يقول: كان النبي ﷺ يدعوني: «أبا هر».

قال أبو هريرة: والله ما خلق الله مؤمناً يسمع بي إلا أحبني. قال يزيد بن عبد الرحمن لأبي هريرة: وما علمك بذلك؟ قال: إن أمي كانت مشركة، وكنت أدعوها إلى الإسلام، وكانت تأتي علي، فدعوتها يوماً، فاسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي فأخبرته، وسألته أن يدعو لها، فقال: «اللهم اهد أم

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في موضعين من صحيحه؛ أحدهما في كتاب فضائل القرآن، باب: «كيف نزل الوحي وأول ما نزل» برقم (٤٩٨١)، والثاني في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ: «بعثت بجوامع الكلم» برقم (٧٢٧٤)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، إلى جميع الناس ونسخ الملل قبله برقم (١٥٢)، كذا أخرجه الإمام أحمد في المسند، والنسائي في الكبرى.

راوي الحديث

قال الذهبي: الإمام الفقيه المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبات، اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال جملة أرجحها: عبد الرحمن بن صخر.

ويقال: كان في الجاهلية اسمه عبد شمس «أبو الأسود»، فسماه النبي ﷺ: عبد الله وكناه أبو هريرة. قال الطبراني: وأمه رضي الله عنها هي ميمونة بنت صبيح.



للخبي

صلى الله عليه وآله

إعداد / زكريا حسيني



يجحد ويعاند، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾. قوله ﷺ: «وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي» أي إن معجزتي التي تحدت بها هي الوحي الذي أنزل علي وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته ﷺ فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات مثل ما أوتي من تقدمه من الأنبياء، بل المراد أن القرآن هو المعجزة العظمى التي اختصه الله بها دون غيره، لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه، فلما كان السحر فاشيا عند فرعون وقومه جاءه موسى عليه السلام بالعصا على صورة ما يصنع السحرة، لكنها تلقف ما صنعوا أي تبطله، ولم يقع ذلك بعينه لغيره من الأنبياء، وكذلك لما كان الأطباء والحكماء في عهد عيسى عليه السلام في غاية الظهور كانت معجزته عليه السلام إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وهو ما لم تصل إليه قدرتهم. ولما كان العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ في الغاية من البلاغة والفصاحة جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فلم يقدرُوا على ذلك، وقيل المراد أن القرآن ليس له مثل لا صورة ولا حقيقة، بخلاف غيره من المعجزات فإنها لا تخلو عن مثل، وقيل المراد أن كل نبي أعطي

أبي هريرة». فخرجت أعدو أبشرها، فاتيت فإذا الباب مجاف وسمعت خضخضة الماء، وسمعت حسي، فقالت: كما أنت، ثم فتحت وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها، فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله. قال: فرجعت إلى رسول الله أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن، فأخبرته، وقلت: ادع الله أن يحبني وأمي إلى عباده المؤمنين، فقال: «اللهم حب عبدي هذا وأمه إلى عباده المؤمنين وحببهم إليهما». أخرجه مسلم وأحمد.

شرح الحديث

قوله ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي». هذا يدل على أن كل نبي من الأنبياء لابد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه وعدم تكذيبه، ولا يضره بعد ذلك من أصر على تكذيبه. قوله: «من الآيات» أي: المعجزات الخوارق للعبادات.

وقوله: «ما مثله آمن عليه البشر»: المثل يطلق ويراد به عين الشيء، ويطلق أيضا على ما يساويه، والمعنى أن كل نبي من الأنبياء أعطي معجزة أو أكثر؛ من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن ويصدق هذا النبي لأجلها، و«على» هنا بمعنى اللام أو الباء، وإنما عبر بـ «على» لأنها تفيد معنى الغلبة، أي أنه يؤمن بذلك مغلوبا عليه بحيث لا يستطيع دفعه عن نفسه، ولكنه قد

القرآن عام النفع كثير الفائدة يشتمل على

سامع القرآن لا يمجّه وقارئه لا يمل من تلاوته،

لن يستطيع أعداء الإسلام والمسلمين أن يصرفوهم عن

سيوجد، فحسن ترتيب الرجاء المذكور على ذلك، وهذا الرجاء قد تحقق، فإنه أكثر الأنبياء تابعاً، ثم قال رحمه الله: وقد جمع بعضهم إعجاز القرآن في أربعة أشياء:

أحدها: حسن تاليفه والتّخام كلمه مع الإيجاز والبلاغة.

ثانيها: صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نظماً ونثراً حتى حارت فيه عقولهم ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله مع توفر دواعيهم على تحصيل ذلك وتقريعه لهم على العجز عنه.

ثالثها: ما اشتمل عليه من الإخبار عما مضى من أحوال الأمم السالفة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب.

رابعها: الإخبار بما سيأتي من الكوائن التي وقع بعضها في العصر النبوي، وبعضها بعده.

ومن غير هذه الأربعة آيات وردت بتعجيز قوم في قضايا أنهم لا يفعلونها فعجزوا عنها مع توفر دواعيهم على تكذيبه، كتمني اليهود الموت، ومنها الروعة التي تحصل لسامعه، ومنها أن قارئه لا يمل من ترده، وسامعه لا يمجّه ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة ولذاذة، ومنها أنه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا، ومنها جمعه لعلوم ومعارف لا تنقضي عجائبها ولا تنتهي فوائدها. اهـ.

من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله، والقرآن لم يؤت أحد قبله مثله، وقيل المراد أن الذي أوتيته لا يتطرق إليه تخيل وإنما هو كلام معجز لا يقدر أحد أن يأتي بما يتخيل منه التشبييه به، بخلاف غيره فإنه قد يقع في معجزاتهم ما يقدر الساحر أن يخيل شبهه فيحتاج من يميز بينهما إلى نظر، والنظر عرضة للخطأ، فقد يخطئ الناظر فيظن تساويهما، وقيل المراد أن معجزات الأنبياء انقضت بذهاب عصورهم وأزمانهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من العصور إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه، وهذا أقوى الاحتمالات، وقيل المعنى أن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالابصار كناقاة صالح وعصا موسى، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأحسها أكثر، لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً، قال الحافظ ابن حجر بعد أن ساق هذه الأقوال: ويمكن نظم هذه الأقوال كلها في كلام واحد؛ فإن محلها لا ينافي بعضها بعضاً.

قوله **﴿﴾**: «فارجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة». قال الحافظ في الفتح: رتب هذا الكلام على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة لكثرة فائدته وعموم نفعه، لاشتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون، فعم نفعه من حضر ومن غاب ومن وجد ومن



الدعوة والحجة والأخبار بما سيكون

ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة وحلاوة

دينهم وعن كتاب ربهم إذا استمسكوا به وحفظوه ولم يهجره

إلى حفظ
البشر، فإن الله
تعالى حافظه، وإنما
يسعد المسلمون ويرقون
 ويفوزون في الدنيا والآخرة إذا
 تعلموا هذا الكتاب واعتنوا به،
 تلاوة وحفظاً وتدبراً وفهماً وعلماً
 وعملاً، حافظوا على تلاوته وحفظه
 وتفسيره وإعرابه، فإنه منهاجهم
 الذي فيه عزهم ونصرهم في الدنيا،
 وفوزهم بالجنة ونجاتهم من النار في
 الآخرة.

ولن يستطيع أعداء الإسلام والمسلمين أن
 يصرفوهم عن دينهم وعن كتاب ربهم إذا
 استمسكوا به وحفظوه ولم يهجره، أما إذا
 هجروه تلاوة وحفظاً وفهماً وتدبراً وعلماً
 وعملاً، فإن الأعداء يسهل عليهم أن يتسلطوا
 على المسلمين ويعيثوا فساداً بتشكيكهم في
 كتابهم وإلقاء الشبه عليهم فيتهوك منهم من
 يتهوك ويتشكك من يتشكك، وذلك لضعف
 الإيمان والجهل بالقرآن، ولا عجب بعد ذلك أن
 يُطلب من المسلمين مَحْوُ آيات من القرآن
 تتعارض مع مبادئ الكافرين وأهوائهم أو
 تتصادم مع مصالحهم فيما يزعمون، بل أكثر
 من ذلك أن يؤلفوا كتاباً أو كتباً بديلة عن
 القرآن للمسلمين، لياخذوه فيستبدلون الذي
 هو أدنى بالذي هو خير، ومن هان عليه دينه
 هان عليه كل شيء.

نسال الله تعالى أن يحفظ علينا ديننا
 وعقائدنا، وأن يجعلنا من أهل القرآن
 المستمسكين به العاملين به في الدنيا الفائزين
 به في الآخرة، وأن يجعله شفيعنا إلى جنات
 النعيم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده
 ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.
 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح
 صحيح مسلم: ومعجزة نبينا ﷺ القرآن
 المستمر إلى يوم القيامة مع خرق العادة في
 أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات وعجز
 الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة من مثله
 مجتمعين أو متفرقين في جميع الأعصار مع
 اعتنائهم بمعارضته فلم يقدرُوا وهم أفصح
 القرون. مع غير ذلك من وجوه إعجازه
 المعروف، والله أعلم.

ثم قال رحمه الله: وقوله ﷺ: «فارجو أن
 أكون أكثرهم تابعاً علم من أعلام النبوة؛ فإنه
 أخبر عليه السلام بذلك في زمن قلة المسلمين،
 ثم من الله تعالى وفتح على المسلمين البلاد
 وبارك فيهم حتى انتهى الأمر واتسع الإسلام
 في المسلمين إلى هذه الغاية المعروفة ولله
 الحمد على هذه النعمة وسائر نعمه التي لا
 تحصى، والله أعلم.

هذا ولا شك أن القرآن الكريم هو معجزة
 نبينا محمد ﷺ وأنه الوحي الذي أوحاه الله
 تعالى إليه، وكذلك السنة النبوية وحي الله
 تبارك وتعالى إلى رسوله ﷺ، قال تعالى:
 ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (۳) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ
 يُوحَىٰ ﴾، والقرآن باق ومحفوظ بحفظ الله
 تعالى لا يتبدل ولا يتغير، قال تعالى: ﴿ لَا
 يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ
 مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ
 نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، ليس بحاجة